ألف حكاية وحكاية (١٠٢)



نصف العمر والعمر كله

وحكايات أخرى

يرويها

يعقوب الشارونى



رسوم

عبد الرحمن بكر

الناشر
مكتبة مصر
سعيد جودة السحار وشركاه
٣ شارع كامل صدقى - الفجالة
ت: ٥٩٠٨٩٢٠

نصف العمر والعمر كله

تَقابَلَ اثنانِ من زملاءِ الدراسةِ ، وكانا لم يشاهدا بعضهما منذ وقتٍ طويلٍ ، بعد أن أصبحَ أحدُهما طبيبًا ، والآخرُ صيّادًا.

وعرضَ الصيَّادُ على الطبيبِ أن يقضِيَ معه يومًا فـي قاربِـهِ ، يتنزهانِ على سطحِ الماءِ .

وأثناءَ النزهةِ ، قالَ الطبيبُ لصديقِهِ : " هل تعرفُ شيئًا عن الطبِّ ؟ "

أجابَ الصيادُ : " لا . "

فقالَ الطبيبُ : " لقد ضاعَ نصفُ عمرِكَ !! "



وبعد قليلٍ هبَّتْ عاصفةٌ شـديدةٌ جدًّا ، جعلَتِ القاربَ يتأرجحُ يمينًا ويسارًا حتى تَعرَّضَ للغرقِ ، فقالَ الصيادُ للطبيـبِ : " هل تعرفُ شيئًا عن السباحةِ ؟ "

أجابَ الطبيبُ : " أبدًا ! "

فقالَ الصيادُ : " إذن فقد ضاعَ عمرُكَ كلُّهُ !! "



بيته فوق ظهره !!

يُحكَى أنه كانَ يوجَدُ فيلٌ ضخمٌ ، يتفاخرُ دائمًا بمدى قوتِهِ .

وذاتَ يومٍ ، كانَ الفيلُ يسيرُ مُختالاً ، وهو يدفعُ بقيةَ الحيواناتِ بعيدًا عن طريقِهِ ، عندما داسَ ، بغيرِ أن يقصدَ ، على ذيلِ فأرٍ صغيرٍ ، فصاحَ الفأرُ في غضبٍ : " أيها الضخمُ ، لماذا لا تنظرُ قبلَ أن تخطُوَ ؟ "

ولم يكنْ هذا الفيلُ ممَّنْ يتحمَّلونَ أن يصيحَ فيهم أحدٌ ، خاصةً أن يصدرَ ذلك من حيوانٍ لا يزيدُ حجمُهُ على حجمِ ظفرٍ من أظفارِ قدمِ الفيلِ ، لذلك صاحَ بصوتٍ مُرتفعٍ :

" إنني أقوى حيوانٍ في الدنيا .. لا يوجَدُ مَنْ هو أقوى منِّي ، وإذا لم تُسرِعْ فتطلبِ العفْوَ منِّي ، فإنني سأسحقُكَ حتى تُصبِحَ مستويًا مع الأرضِ . "

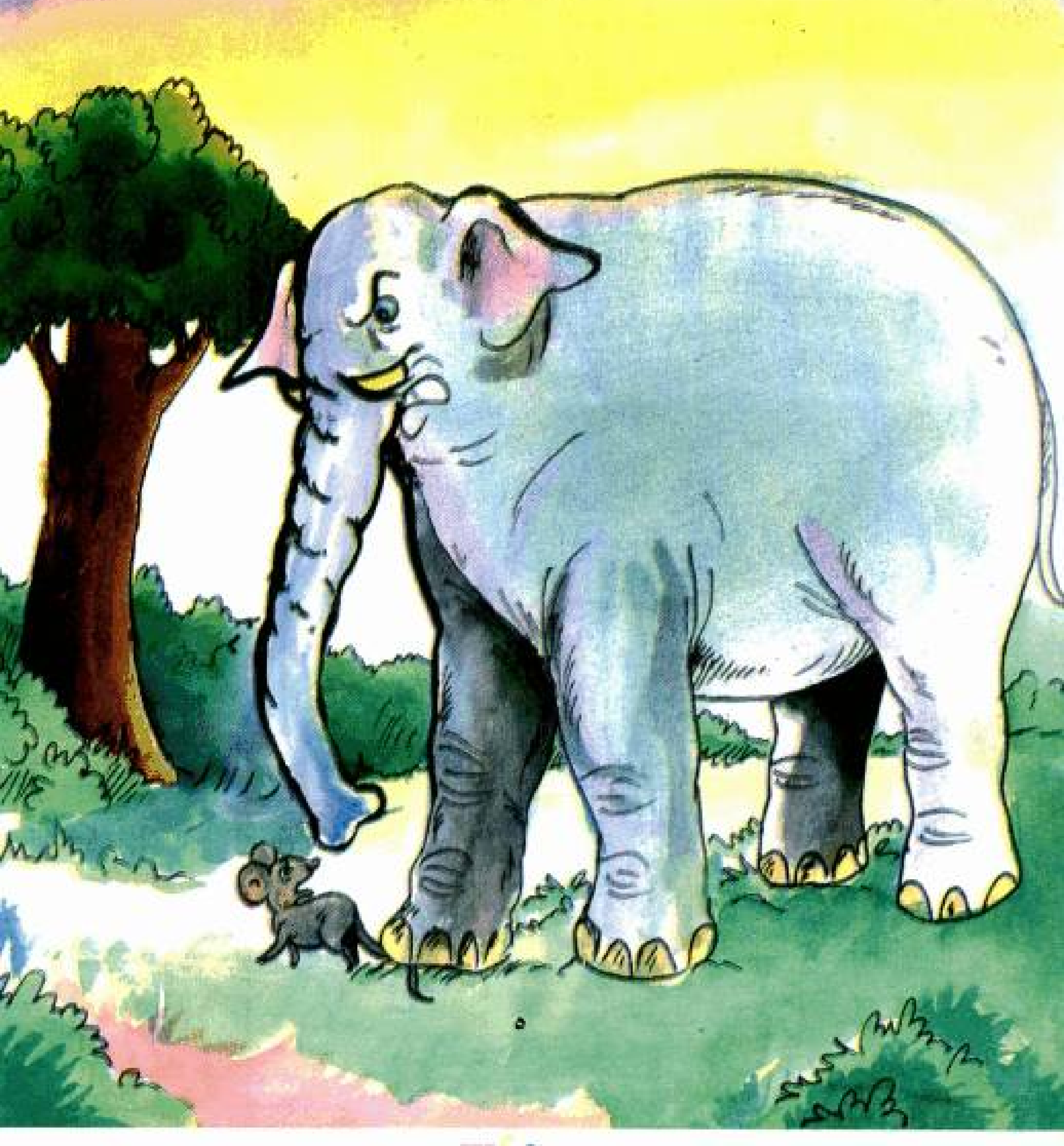
عندما سمعَ الفأرُ ذلك ، استغرقَ في الضحكِ وقالَ : " لكنك لسْتَ قويًّا كما تتصوَّرُ . أنا أعرفُ حيوانًا أقوى منك . "

صرخَ الفيلُ ساخرًا : " أقوى منِّي ؟! مُستحيلُ !! إذا استطعْتَ أن تجعلَني أرى مثلَ هذا المخلوقِ ، سأتركُ هذا المكانَ راضيًا ولن أعودَ إليه أبدًا. "

قالَ الفأرُ : " تعالَ معى إذن . "

وتبعَ الفيلُ الفأرَ . وعندما وصلا إلى منطقةٍ لا تنمو بها أشجارٌ ،

شاهدَ الفيلُ الفأرَ يقفُ بجوارِ سلحفاةٍ .



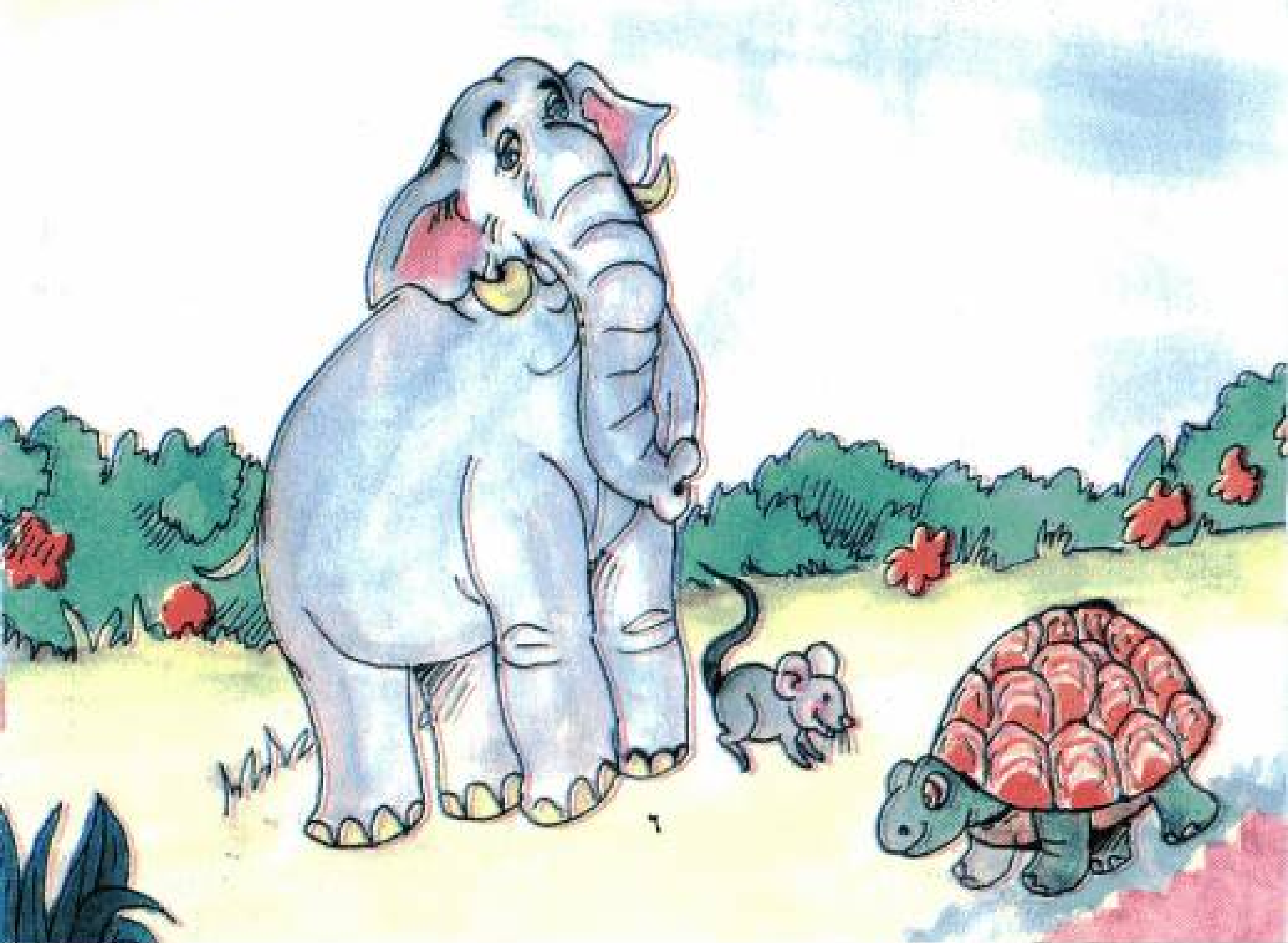
ضحكَ الفيلُ ضحكةً مُجلجِلةٍ وهو يقولُ : " ماذا ؟! هل هذه السلحفاةُ أقوى منّي ؟! لابد أنكَ مجنونٌ !! "

قالَ الفأرُ : " هل تستطيعُ أن تحملَ بيتك على ظهرِكَ ، كل أيام حياتك ؟ "

قالَ الفيلُ : " ليس هناك مَنْ يستطيعُ ذلك . "

قالَ الفأرُ وهو يُشيرُ إلى الصَّدَفةِ التي على ظهرِ السلحفاةِ : " السلحفاةُ تفعلُ هذا . إنها تحملُ بيتَها على ظهرِها إلى كلِّ مكانٍ تذهبُ إليه " .

وأدركَ الفيلُ أن حيلةَ الفأرِ قد نجحَتْ ، لكنه اضطرَّ أن يحترمَ كلمتَهُ ، فلم ترَهُ الحيواناتُ بعد ذلك أبدًا .



إنهم يحسبون الساعات

كانَ أحدُ الطلابِ يدرسُ فى أوربا ، فذهبَ لزيارةِ قريةِ أحدِ زملائه . وعندما خرجَ للنزهةِ ، سارَ بجوارِ المقابرِ ، فأدهشَهُ ما رآهُ مكتوبًا فوقَها !

لقد وجدَ مقبرةً مكتوبًا عليها اسمُ المُتوفَّى ، وتحتَهُ قرأ هذه العبارةَ : " وُلِدَ سنةَ ١٨٥٠ ، وتُوُفِّىَ سنةَ ١٨٩٥ ، وعاشَ يومَيْنِ . "

وعلى قبرٍ ثانٍ شاهدَ العبارةَ التاليةَ : " كانَتْ حياتُهُ أربعةَ أيامٍ . "

وعلى قبرٍ ثالثٍ لم يجدْ أيَّةَ كتاباتٍ !

وعندما سألَ زميلَهُ عن سرِّ هذه العباراتِ الغريبةِ ، قالَ له زميلُهُ :

" إن أهلَ القريةِ لا يحسبونَ إلا الساعاتِ التى قضاها المُتوفَّى فى خدمةِ أهلِ القرية ، فإذا ماتَ منهم شخصٌ ، اجتمعَ حولَه الحكماءُ والمُحكَّمونَ ، وتَباحثوا فى عددِ الساعاتِ التى قضاها يفعلُ الخيرَ للآخرينَ ، ثم يسجِّلونَ ذلك فوقَ قبرِهِ ! "

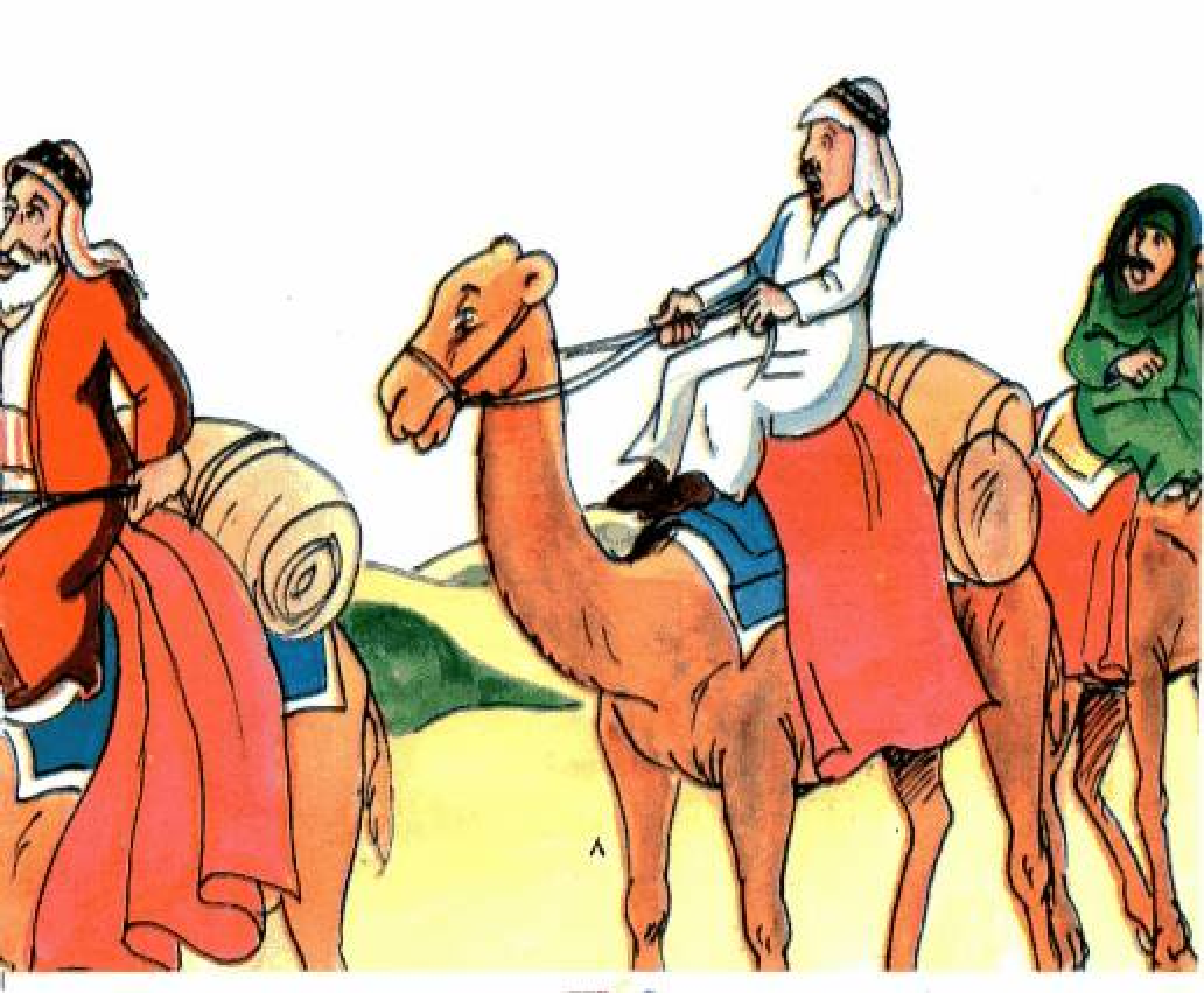


الوباء لم يخدعه

يحكى العربُ أن " الوباء " قـابلَ قافلـةً فـى طريقِها إلى عاصمـةٍ كبيرةٍ ، فسألَهُ شيخُ القافلةِ : " لماذا تُسرِعُ إلى المدينةِ الكبيرةِ ؟ "

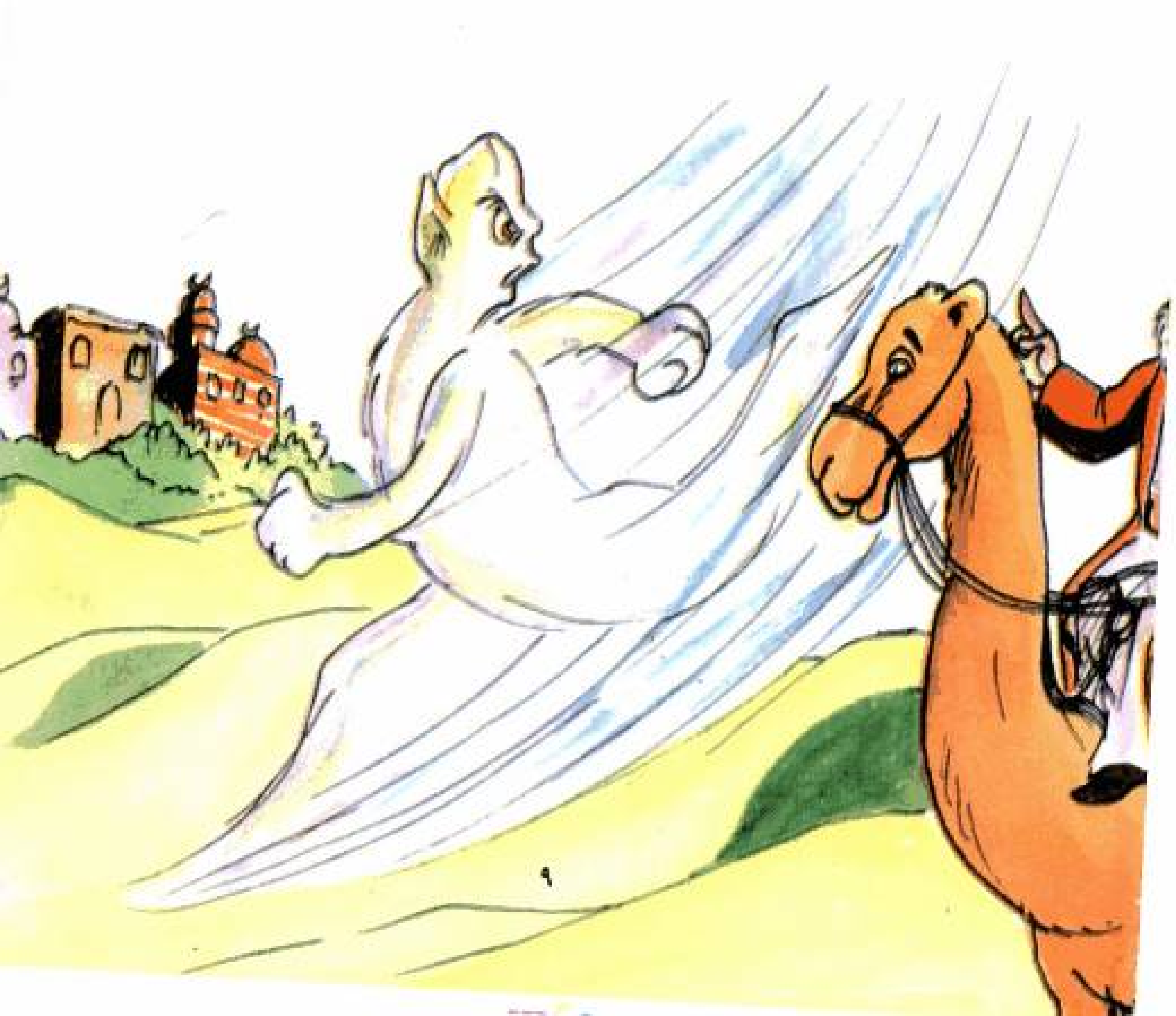
قالَ الوباءُ : " لأحصدَ حياةَ خمسةِ آلافِ نسمةٍ . "

فلمّا رجعَ الوباءُ من المدينـةِ ، التقـى بالقافلـةِ مـرةً ثانيـةً ، فقالَ الشيخُ ساخطًا للوباءِ :



" لقد خدعْتَنى ، فقد حصدْتَ أرواحَ خمسين ألفًا بدلاً من خمسةِ آلافٍ ."

قالَ الوباءُ : " كلا .. لم أحصدْ سوى خمسةِ آلافٍ .. أما الرعبُ فهو الذى قتلَ البقيةَ !! "



وسائدنا التى تتمزق

كانَ عند صديقٍ لى كلبٌ من الكلابِ البوليسيةِ الكبيرةِ ، اسمُهُ " عنتر " . وقد حكى لى عنه الحكايةَ التاليةَ .. قالَ :

مزَّقَ عنتر ذاتَ يومٍ وسادةَ المقعدِ الذى نضعُهُ فى الشرفةِ ، فقرَّرْتُ أن أتخلَّصَ منه ، وأخذْتُهُ بعد ظهرِ أحدِ الأيامِ لأسلِّمَهُ إلى شخصٍ طلبَ منى أن أبيعَهُ إيَّاهُ .

وسرْتُ به فى شوارعِ المدينةِ ، فقابلْتُ ابنتى حنان ، التى كانَتْ عائدةً إلى المنزلِ من مدرستِها . وكانَتْ حنان قد أصيبَتْ بشللِ الأطفالِ ، وتسيرُ بصعوبةٍ ، ولا تستطيعُ أن تصعدَ درجةً واحدةً من درجاتِ أيِّ سلمٍ إلا إذا استندَتْ إلى شيءٍ .

وعبرَتْ حنان الطريقَ فى مشقَّةٍ حتى وصلَتْ ناحيتَنا ، ثم توقَّفَتْ أمامَ الرصيفِ ، فأسرعْتُ لمعاونتِها ... لكننى وقفْتُ مندهشًا .. لقد أشارَتْ إلى كلبِنا عنتر ، فرأيْتُهُ يجلسُ ثابتًا ساكنًا مُنتصِبَ الرأسِ ، بينما استندَتْ حنان بيدِها إلى رأسِهِ ، وصعدَتْ فوقَ الرصيفِ .

ولمَّا عُدْنا إلى البيتِ ، أرَتْنى حنان كيف تتعلَّمُ هى وعنتر صعودَ الدرجاتِ المُؤدِّيةِ من الحديقةِ إلى شقَّتِنا .

وختمَ الصديقُ حكايتَهُ قائلاً : " ولا تزالُ وسائدُنا تتمزَّق. "



النسر سيعرف أكثر

كانَ هناكَ نسرٌ كبيرُ الجسمِ ، طويلُ الجناحَيْنِ ، إذا ارتفعَ فى السماءِ أصبحَ مثلَ سحابةٍ سوداءَ تدفعُها ريحٌ لا تهدأ . وكانَ يستطيعُ الطيرانَ بغيرِ توقُّفٍ مسافاتٍ بعيدةً ، تبلغُ عشراتِ الآلافِ من الكيلو متراتِ .

قرَّرَ ذلكَ النسرُ أن يطيرَ من القطبِ الشماليِّ إلى القطبِ الجنوبِيِّ . ورآه عصفورٌ صغير ، فسألَ نفسَهُ فى دهشةٍ :

" لماذا يُزعِجُ النسرُ نفسَهُ بهذا الطيرانِ البعيدِ ؟! انظروا كم أنا سعيدٌ ! إذا أردْتُ الراحةَ قفزْتُ إلى شجرةٍ ، أو اختفَيْتُ بينَ الأعشابِ .

وإذا أردْتُ اللعبَ ، أطيرُ إلى ارتفاعِ بضعةِ أمتارٍ ، ثم أعودُ بغيرِ تعبٍ ، فماذا يُريدُ النسرُ من هذا الطيرانِ البعيدِ ؟! "

سمعَ النسرُ هذا الكلامَ ، فشدَّدَ من عزيمتِهِ ، وانطلقَ يواجهُ العواصفَ وتقلباتِ الجوِّ فى طريقِهِ الشاقِّ الطويلِ .

سمعَ شيخٌ حكيمٌ هذه القصةَ فقالَ : " سيظلُّ العصفورُ قانعًا بالقليلِ الذى يعرفُهُ . أما النسرُ، مثلَ كلِّ أصحابِ العزيمةِ والطموحِ ، فسيعرفُ الكثيرَ أثناءَ مواجهتِهِ كلَّ صعبٍ وجديدٍ. "



هالو

فى يوم مولدِها فقدَتْ والدتَها ، وشعرَ الأبُ بانطواءِ ابنتهِ اليتيمةِ .

لكنَّ الصغيرةَ وجدَتِ الصداقةَ والمرحَ معَ كلبٍ صغيرٍ أطلقَتْ عليه اسمَ " هالو " . وتحوَّلتِ الكآبةُ إلى سعادةٍ ونشاطٍ . لكنَّ الكلبَ اختفى ذات يومٍ ، وانطلقَتِ الصغيرةُ تبحثُ عنه .

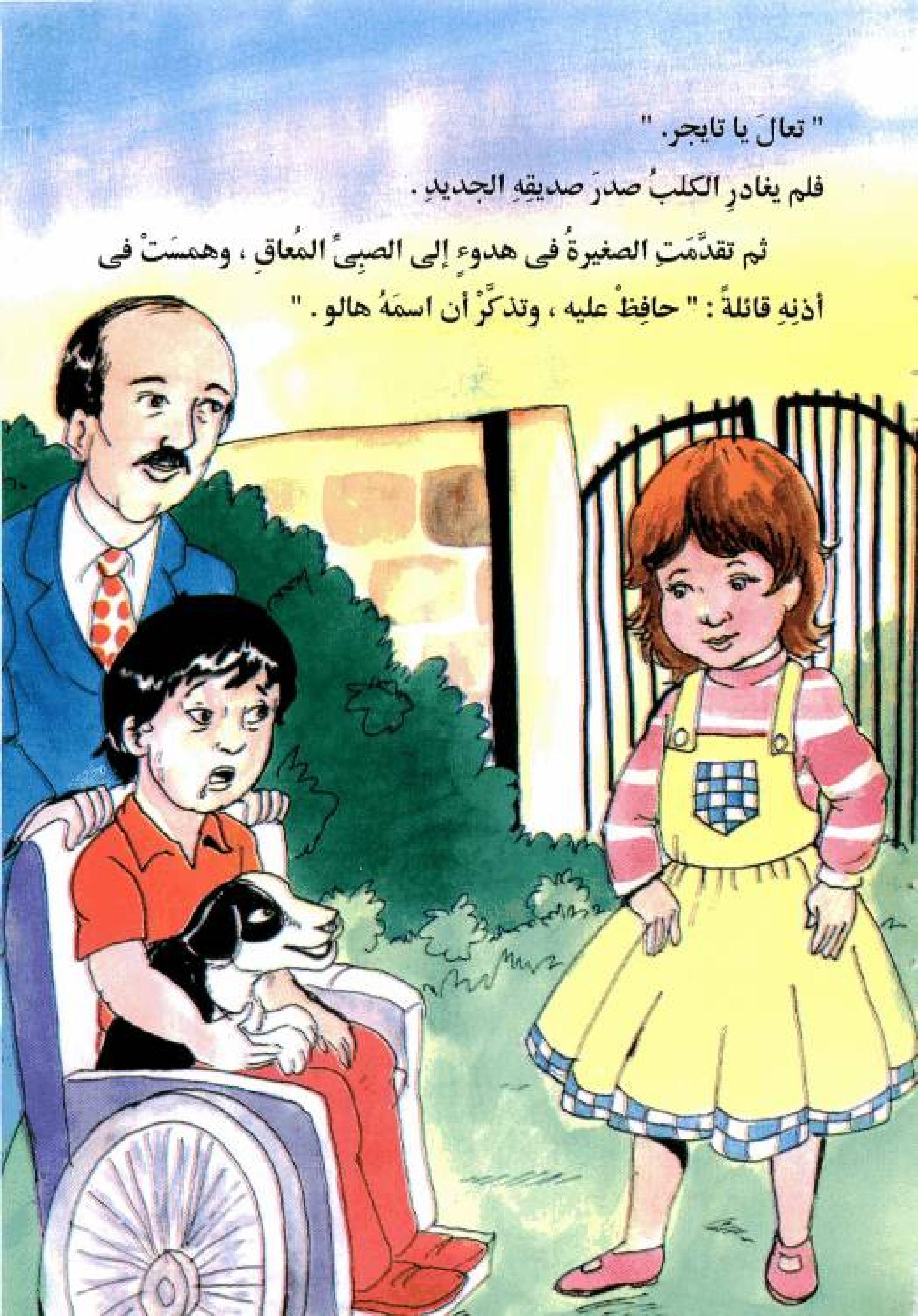
وأخيرًا لجأتْ إلى زعيمِ جماعةِ أطفالِ الحيِّ ، الذى استطاعَ أن يصلَ إلى البيتِ الذى يحتجزُ أهلهُ الكلبَ .

وذهبَتِ الصغيرةُ تطلبُ استعادةَ كلبِها ، فقالَ لها صاحبُ البيتِ: " إذا كانَ هو كلبَكِ حقًّا ، فعليكِ أن تُناديهِ باسمِهِ ، ليستجيبَ لكِ. "

وفوجئَتِ الفتاةُ بزوجةِ الرجلِ تركعُ بجوارِها وتقولُ : " اتركيه لنا .. إننا فى حاجةٍ إليه أكثرَ منكِ ! "

وهنا اقتربَ الأبُ بكرسِيٍّ له عجلاتٌ ، يجلسُ عليه صبِيٌّ يظهرُ على وجهِهِ بوضوحٍ أنه مُعاقٌ ذهنيًا ، ويحتضنُ الكلبَ فى شغفٍ . وصاحَ الصبِيُّ فى كلماتٍ غيرِ واضحةٍ : " إنه صديقى .. لا تأخذوه منِّى ! "

وبسرعةٍ أدركَتِ الفتاةُ الموقفَ على حقيقتِهِ ، وبدلَ أن تنادِىَ كلبَها باسمِهِ ، قالَتْ :


" تعالَ يا تايجر. "
فلم يغادرِ الكلبُ صدرَ صديقِهِ الجديدِ .
ثم تقدَّمَتِ الصغيرةُ فى هدوءٍ إلى الصبِيِّ المُعاقِ ، وهمسَتْ فى
أذنِهِ قائلةً : " حافِظْ عليه ، وتذكَّرْ أن اسمَهُ هالو . "

بغير طابع

اشتهرَ الاسكتلنديون بالبخلِ ، ومن الحكاياتِ التى تُروَى عن ذلك ، أن أحدَ الاسكتلنديين ، إذا أرادَ يوماً أن يستيقظَ مبكرًا ، فإنه يكتبُ خطابًا لنفسِهِ ، ثم يضعُهُ فى صندوقِ البريدِ بغيرِ أن يلصقَ عليه طابعَ بريدٍ . وفى اليومِ التالى ، يقرعُ ساعى البريدِ بابَهُ إلى أن يستيقظَ ، فيقولُ له الساعى :

" لك عندى خطابٌ بغيرِ طابعٍ .. أعطِنى بنسَيْنِ لكى تتسلَّمَهُ . "

فيقولُ الرجلُ : " شكرًا لكَ ، مادامَ الخطابُ بغيرِ طابعٍ ، فلا أُريدُهُ !! "

بعض قصص هذه المجموعة تم اختيارها وإعادة صياغتها ، من الأدب الشعبى ، والعربى القديم ، والعالمى .

